

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني

بقلم: الدكتور علي حسني المربرطلي

عصر ابن حجر :

لا شك أن لأحداث كل عصر تأثيرات وانطباعات على كل من شهدوها وعاصروها . وقد عاصر ابن حجر فترة من عصور مصر التي شهدت كثيرا من الأحداث التاريخية البارزة ، فقد عاصر نهاية دولة المماليك البحرية ، وقيام دولة المماليك البرجية . فقد كان مولد ابن حجر في سنة ٧٧٣ هـ في أواخر عهد المماليك البحرية ، في عهد السلطان شعبان بن السلطان الناصر حسن الذي تولى السلطنة سنة ٧٦٤ هـ . وتميز هذا العهد بالاضطرابات الداخلية فقد اختلف شعبان مع أمراء المماليك كالعادة ، فقتلوه ، وخلفه السلطان علاء الدين بن شعبان سنة ٧٧٨ هـ ، واختلف علاء الدين أيضا مع بعض الأمراء ، فولوا أنوك بن حسين بن محمد بن قلاوون السلطنة ، وأصبح لمصر سلطانان في وقت واحد ، وتمكن علاء الدين بعد كفاح طويل من التخلص من منافسه ، وظل يحكم حتى توفي سنة ٧٨٣ هـ

فخلفه آخر سلاطين المماليك البحرية حاجي ابن شعبان سنة ٧٨٣ هـ ، وكان طفلا ، فتولى (برقوق) منصب « أتابك » .

عقد برقوق مجلسا دعا اليه الخليفة العباسي والقضاة والأمراء ، وشرح لهم اضطراب أحوال الدولة نتيجة صغر سن السلطان وضعفه ، وأن الدولة في حاجة الى شخصية قوية تقبض على زمام الأمور ، فوافقوا جميعا على خلع السلطان وتنصيب برقوق سلطانا ، فكان هذا اعلانا عن نهاية دولة المماليك البحرية ، وبداية عصر دولة المماليك البرجية .

عمل برقوق على نشر الأمن والتسامح ، فرضى الشعب المصري عن سياسته ، واستمر برقوق يتولى السلطنة الى سنة ٨٠٩ هـ ، وفي عهده ظهر الخطر المغولي بقيادة تيمور لك . وخلف برقوق ابنه السلطان فرج ، وكان في الثالثة عشرة من عمره فانتشرت الاضطرابات ، وعاد الخطر المغولي الى

الظهور ، ولم ينقذ الموقف سوى وفاة تيمور لك
وتولى السلطنة بعد فرج سنة ٨١٥ هـ السلطان
المستعين بالله ، وهو الخليفة العباسي الذي كان
قائما في القاهرة في ذلك الحين ، فأصبح خليفة
وسلطانا معا ، ولم يكن المستعين تركيا ، ولذا عزله
المماليك وتولى السلطنة الأمير شيخ المؤيد سنة
٨١٧ هـ .

ظهر نبوغ ابن حجر في عهد السلطان المؤيد ،
فقد انصرف المؤيد الى الاصلاحات الداخلية ،
فضرب العملة المؤيدية ، وبنى جامع المؤيد المعروف ،
وكان يشجع العلم والعلماء ، وأجاد الشعروالموسيقى
واشتهر بالتقوى والورع ، وأحسن معاملة أهل
الذمة . ثم خلفه ابنه السلطان أحمد بن شيخ سنة
٨٤٢ هـ ، وكان طفلا رضيعا ، ولذا نجح «ططر»
في انتزاع الحكم وقتل السلطان الطفل ، وتولى
السلطنة ، ولكنه شعر بالمرض ، فولى ابنه محمدا ،
وكان طفلا في العاشرة ، واختار (برسباى) وصيا
عليه ، ومالبث أن مات ططر بعد أن حكم ثلاثة
شهور . ونجح برسباى بعد سنة ونصف من وفاة
ططر في أن يعزل السلطان الطفل ويتولى السلطنة.

رضى المصريون عن حكم برسباى ، فقد أعاد
الأمن والهدوء ، وقضى على القراصنة الذين كانوا
يغيرون على شواطئ مصر والشام ، وهزم ملك
قبرص ، وامتد نفوذه الى بلاد الحجاز ، مما أدى
الى رواج التجارة المصرية في البحر الأحمر .

وفي أواخر عهد برسباى انتشر الطاعون فأهلك
عددا كبيرا من المصريين .

ثم تولى السلطان يوسف بن برسباى سنة
٨٤١ هـ ، وكان في الخامسة عشرة من عمره ، وتولى
الوصاية عليه (جقمق) الذي نجح في انتزاع

السلطنة بعد ثلاثة أشهر ، وتفرغ جقمق لقتال
الفرجة الذين كانوا يغيرون باستمرار على
الشواطئ الاسلامية ، وشهدت مصر فترة هدوء
وسلام ، وبذل جقمق جهده لاصلاح الحياة
الاجتماعية والقضاء على الرذائل ، وشجع العلماء ،
واهتم بجمع المخطوطات . وقد توفي ابن حجر في
عهد جقمق سنة ٨٥٢ هـ ، واستمر جقمق يلى
السلطنة الى سنة ٨٥٧ هـ .

ترجمة حياة ابن حجر :

هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد
ابن على بن محمد الكنانى العسقلانى ، واشتهر
باسم ابن حجر ، وهو لقب لبعض آبائه .

ولد ابن حجر في ١٢ شعبان سنة ٧٧٣ هـ في
« مصر العتيقة » ونشأ بها يتيما ، ورباه أحد
أوصيائه ويدعى « الزكى الخروبى » ، فحفظ
القرآن الكريم وعمره تسع سنوات على يد «الصدر
السفطى» ، وهو شارح مختصر التبريزى . وصحبه
الوصى عليه الى مكة حيث سمع كثيرا من الأحاديث ،
فتعلق بدراسة علم الحديث . وفي مكة ، درس ابن
حجر « العمدة » و « ألفية ابن العراقى » و
« الحاوى الصغير » و « مختصر ابن الحاجب »
وغيرها من أمهات الكتب .

ثم عاد ابن حجر الى مصر ، فقرأ على (الصدر
الأبشيطة) شيئا من العلم . وبعد بلوغه لازم أحد
أوصيائه وهو (الشمس بن القطان) حيث درس
عليه الفقه والعربية والحساب وغيرها . ثم درس على
كثير من العلماء والفقهاء ، مثل (النور الأدمى) و
(البلقينى) و (ابن الملتن) . ثم لازم ابن حجر
(العز بن جماعة) وأخذ عنه كثيرا من العلوم ، ومما

أخذه عنه (شرح المنهاج الأصلي) و (جمع الجوامع وشرحه) . وحضر ابن حجر دروس (الصمام انخوارزمي) ، ودرس اللغة عن (المجد الفيروزبادي) ، ودرس الأدب والعروض عن (البدر البشتكي) ، ودرس القراءات عن (التنوخي) ، كما درس كثيرا من العلوم على كثير من علماء عصره .

استمر ابن حجر في دراسته على عدد كبير من العلماء حتى سنة ٧٩٦ هـ ، ثم تفرغ للدراسة على يد (الزين العراقي) ، ولازمه طويلا ، وقرأ عليه ألفيته وشرحها .

وفي أواخر القرن الثامن الهجري ، رحل ابن حجر الى بلاد الشام والحجاز لاستكمال دراسته في علم الحديث . ويصف السخاوي شغف أستاذه ابن حجر بعلم الحديث فيقول : « وأكثر جدا من المسموع والشيوخ ، فسمع العالي والنازل ، وأخذ عن الشيوخ والأقران فمن دونهم ، واجتمع له من الشيوخ المشار اليهم ، والمعول في المشكلات عليهم ، ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره ، لأن كل واحد منهم كان متبحرا في علمه ورأسا في فنه الذي اشتهر به ليلحق فيه .. واذن له جلهم أو جميعهم كالبلقيني والعراقي في الافتاء والتدريس » .

ورأى ابن حجر أن يتفرغ لنشر الحديث ، فيقول السخاوي أيضا : « وتصدى لنشر الحديث وقصر نفسه عليه ، مطالعة وقراءة وإقراء ، وتصنيفا وافتاء ، وشهد له أعيان شهوده بالحفظ ، وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث ، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصليين ، وغير ذلك ، على مائة وخمسين تصنيفا ، ورزق فيها من السعد والقبول » . كما كان ابن حجر شاعرا مجيدا وخطيبا

مصقعا ، وشهدت منابر القاهرة ومجالسها الكثير من قصائده وخطبه .

ثم تولى ابن حجر في المحرم سنة ٨٢٧ هـ منصب القضاء في الديار المصرية ، وقد وافق على تولي هذا المنصب بعد الحاح شديد من السلطات الحاكمة . وندم ابن حجر بعد ذلك على توليه القضاء ، وكثيرا ما اصطدم بأرباب الدولة ، واستقال عدة مرات ، ولكنه كان يضطر الى العودة الى المنصب مرة أخرى ، حتى ترك القضاء نهائيا في جمادى الثانية سنة ٨٥٢ هـ ، وبلغت مدة توليه القضاء ، بعد حذف فترات تخليه عن منصبه ، أكثر من احدى وعشرين سنة ويتحدث السخاوي عن ندم ابن حجر واستقالته عدة مرات ، فيقول : « وتزايد ندمه على القبول ، لعدم فرق أرباب الدولة بين العلماء وغيرهم ، ومبالغتهم في اللوم لرد اشارتهم وان لم تكن على وفق الحق ، بل يعاودون على ذلك ، واحتياجه لمداواة كبيرهم وصغيرهم ، بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومونه على وجه العدل ، وصرح بأنه جنى على نفسه بتقلد أمرهم » .

زهد ابن حجر في القضاء ، حتى انه صرح بأنه « لم تبق في بدنه شعرة تقبل اسمه » . ورأى ابن حجر أن يتفرغ للعلم والتدريس ، فقام بالتدريس في عدة أماكن ، فدرس التفسير بالحسنية والمنصورية ، ودرس الحديث في البيبرسية والجمالية وجامع ابن طولون والقبه المنصورية ، ودرس الاسماع بالمحمودية ، ودرس الفقه بالخروية والبدرية والشيخونية والصالحية النجمية والمؤيدية وغيرها .

وتولى ابن حجر ، الى جانب القضاء ، عدة مناصب ، مثل مشيخة البيروية ، والافتاء بدار العدل ، والخطابة بجامع الأزهر ثم بجامع عمرو ، وخن الكتب بالمحمودية ، وبلغت عدد المجالس التي ألقى فيها من حفظه أكثر من ألف مجلس وقصده كثير من الأئمة للدراسة عليه ، فيقول السخاوي عنهم : « وكثرت طلبته حتى كان رؤوس العلماء من كل مذهب من تلامذته ، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى » .

واشتهر ابن حجر بالتقوى والورع والأخلاق الفاضلة « مع شدة تواضعه وحلمه ، وبهائه وتحريه في مأكله ومشربه وملبسه وصيامه وقيامه وبذله وحسن عشرته ومزيد مداراته وقد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامة والذهن الوقاد والذكاء المفرط وسعة العلم في فنون شتى » .

ويعتبر السخاوي في مقدمة تلاميذ ابن حجر الأبرار ، الذين اعترفوا بفضلهم وأشادوا به . وقد وضع السخاوي كتابا عن أستاذه بعنوان (تناسق الدرر ، في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر) ، وقام عبد الله بن زكريا بن خليل الدمشقي بتلخيص هذا الكتاب سنة ١١٦٠ هـ وجعل عنوان كتابه (جمال الدرر من ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر) .

ثم حانت منية هذا العالم الجليل ، فتوفي ابن حجر في أواخر ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ ، في منزله قرب المدرسة المنكوتمرية داخل باب القنطرة أحد أبواب القاهرة ، ودفن في تربة الديلمي بالقرافة وتزاحم الأمراء والأكابر على حمل نعشه . وراثه الشيخ شهاب الدين المنصوري شاعر القصر بقصيدة منها :

بكائك الدهر حتى النحو أضحي
مع التصريف بعدك في جدال
وقد أضحي البديع بلا بيان
وقد سلفت معانية الغسوالى
آثار ابن حجر :

يذكر السخاوي أن مصنفات أستاذه ابن حجر زادت على مائة وخمسين تصنيفا ، وللأسف ، لم تصلنا كثير من هذه المصنفات القيمة . وهذه هي دراسة لأبرز مصنفات ابن حجر .

(١) « فتح الباري بشرح البخاري » : وهذا الكتاب هو خلاصة جهود ابن حجر في علم الحديث ، فقد أصبح ابن حجر حجة عصره في هذا العلم ، ولقى هذا الكتاب اقبالا عظيما من معاصريه ، وأقبل على اقتنائه الملوك والأمراء في مختلف الأقطار . ويقول السخاوي عن هذا الكتاب : « استدعى طلبه ملوك الأطراف بسؤال علمائهم له في طلبه ، وبيع بنحو ثلاثمائة دينار ، وانتشر في الآفاق » .

(٢) « رفع الاصر عن قضاة مصر » : وهو من أبرز مصادر تاريخ مصر في العصور الوسطى الاسلامية ، ترجم ابن حجر فيه لبعض قضاة مصر ، ويمكن للباحث الحديث أن يستنبط منه الكثير من نظم القضاء في مصر الاسلامية ، وقد سار ابن حجر في ترجمة حياة القضاة على حسب حروف المعجم ، لا على حسب سنة تولية كل منهم منصبه أو عزله عنه أو وفاته . واستمد ابن حجر معظم معلوماته عن القضاة الذين تولوا في عصر سابق له عن مصدرين : أولهما « كتاب القضاة والولاة » لأبي عمر الكندي ، وثانيهما « تاريخ قضاة مصر » لابن زولاق . ويمدنا كتاب ابن حجر بأسماء قضاة مصر

ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وأصبح كتاب ابن حجر قدوة يحتذى من تبعه حذوها .

عاصر ابن حجر الصراع الذى دار بين المغول والتتار من جهة ، والعرب والمسلمين من جهة أخرى ، وقد أرخ ابن حجر لملوك التتار والمغول وسلاطين الأتراك ، وأمدنا بكثير من المعلومات التاريخية .

ويتميز كتاب ابن حجر هذا باهتمام المؤلف بنساء عصره ، فقد ترجم لكثير منهن ، ممن اشتهرن بالعلم والحديث والتدين ، وسمع منهن الفقهاء والعلماء ، مثل فاطمة بنت ابراهيم بن داود التى سمع منها الحافظ العراقى ، ومثل النضار بنت أبى حيان الغرناطى الأندلسى .

وتبدو فى كتاب ابن حجر الأمانة العلمية واضحة كل الوضوح ، فهو يذكر أسماء المصادر والكتب التى استفاد منها ، مثل كتاب « الوافى فى الوفيات » للصفدى ، وكتاب « مجانى العصر » لأبى حيان الغرناطى الأندلسى ، وكتاب « ذهبية العصر » لابن فضل الله العمري ، وكتاب « تاريخ مصر » لقطب الدين الحلبي ، وكتاب « ذيل سير النبلاء » لشمس الدين الذهبي ، وتاريخ ابن خلدون وغيرها من الكتب .

وقام كاتب مجهول ، لم يعرف اسمه بعد ، باختصار كتاب « الدرر الكامنة » لابن حجر ، وأسماء « المنتخب من الدرر الكامنة » فى أعيان المائة الثامنة .

(٥) « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » : وهو كتاب يتناول علم الحديث ، وقال ابن حجر فى مقدمته : « هذا مختصر يشتمل على أصول

الشرعيين منذ الفتح الاسلامى سنة ٢٠ هـ الى آخر المائة الثامنة ، ويوضح ابن حجر نسب كل منهم ومولده ومذهبه وتاريخ توليته وتاريخ عزله أو وفاته . وأكمل السخاوى ، تلميذ ابن حجر المخلص كتاب أستاذه ، وأطلق على هذه التكملة « الذيل المتناهم » .

(٣) « أنباء الغمر فى أبناء العمر » : وهو من المصادر الأصلية التى تمدنا بكثير من المعلومات عن عصر ابن حجر ، فقد أورد فيه جميع الأحداث التاريخية التى عاصرها منذ مولده سنة ٧٧٣ هـ فتحدث عن أحوال الدول ، ووفيات الأعيان ، ورواة الحديث ، وانتهى المؤلف فى كتابه الى سنة ٨٥٠ هـ ويقع الكتاب فى مجلدين ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٤) « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » : وقد ضمن ابن حجر كتابه تراجم من عاش فى المائة الثامنة من سنة ٧٠١ هـ الى آخر سنة ٨٠٠ هـ ، من الملوك والأمراء والوزراء والكتاب والشعراء ، ورتب ابن حجر هذه التراجم على حروف المعجم وهذا الكتاب يمدنا بمعلومات وافية عن تاريخ مصر فى خلال القرن الثامن الهجرى ، حيث كانت تحكم مصر فى خلال هذا القرن طائفة المماليك البحرية أولاً ، ثم طائفة المماليك الشراكسة ثانياً . وكانت سلطنة برقوق أول عهد المماليك الشراكسة ، وقد توفى سنة ٨٠١ هـ ، وهى نهاية القرن الثامن ، وبداية القرن التاسع الهجرى .

ويمتاز هذا الكتاب بأنه أول كتاب من كتب التراجم يترجم لأعلام قرن بأكمله ، وكانت كتب التراجم قبل ابن حجر تترجم لكثير من الأعلام على اختلاف عصورهم ، مثل معجم الأدباء لياقوت

الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية » وطبع هذا الكتاب عدة مرات في الهند، آخرها سنة ١٣١٢ هـ ، وطبع في القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ .

(٦) « تهذيب الكمال في معرفة الرجال » :
يترجم ابن حجر في هذا الكتاب لعلماء الحديث ، وهو تهذيب لكتاب الحافظ عبد الغنى ، ويقول ابن حجر في مقدمته : « ان كتاب الكمال الذى ألفه الحافظ عبد الغنى وهذبه الحافظ المزى من أجل المصنفات فى معرفة جمل الآثار ، ولا سيما التهذيب ، بيد أنه أطال ، فقصرت الهمم عن تحصيله لطوله . فاقصر بعض الناس على الكشف من الكاشف الذى اختصره منه الحافظ الذهبى . »

(٧) « توالى التأسيس بمعالي ابن ادريس فى مناقب الامام الشافعى » : وقد قسم ابن حجر هذا الكتاب الى باين : أورد فى الباب الأول « الأحاديث على هذا الامام التى اختصت بتلقيها بسلسلة الذهب » . وتحدث الباب الثانى عن مآثر الامام الشافعى منذ مولده حتى وفاته .

(٨) « تخريج أحاديث شرح الوجيز لأبى القاسم الرافعى » .

(٩) « الدراية فى منتخب تخريج أحاديث الهداية » : ذكر ابن حجر فى مقدمة هذا الكتاب الهدف من التأليف فقال : « اننى لما لخصت تخريج الأحاديث التى تضمنها شرح الوجيز للامام الرافعى كان فيما راجعت عليه تخريج أحاديث الهداية للامام الزيلعى ، فسألنى بعض الأجاب أن ألخصه لينفع به أهل مذهبه كما انتفع أهل مذهبنا ، فأجبت الى طلبه ، فلخصته تلخيصا حسنا . »

(١٠) تعجيل المنفعة يزوائد رجال الأئمة الأربعة .

(١١) تعريف أهل التقديس .

(١٢) تعريف التهذيب .

(١٣) التلخيص الجبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير .

(١٤) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية .

(١٥) شرح نخبه الفكر فى مصطلح أهل الأثر .

(١٦) طبقات المدلسين المسمى بتعريف أهل التدليس بمراتب الموصفين بالتدليس .

(١٧) غيطة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلانى .

(١٨) القول المسدد فى الذب عن مسند الامام أحمد حيدر آباد .

(١٩) لسان الميزان .

(٢٠) مراتب المدلسين فى الحديث .

(٢١) نزهة النظر فى توضيح نخبه الفكر .

(٢٢) ديوان خطب .

منهج ابن حجر فى كتاب الاصابة :

تحفل المكتبة العربية بكثير من كتب التراجم والطبقات ، وقد انتهج كل مؤلف نهجا خاصا ، فمنهم من جعل الطبقات محورا لدراسته ، مثل ابن سعد ، ومنهم من ترجم لمختلف الشخصيات الذين عاشوا فى مختلف العصور حتى القرن الذى عاش فيه المؤلف ، مثل ابن خلكان فى كتابه

« وفيات الأعيان » ومنهم من ترجم للشخصيات التي عاشت في قرن واحد ، مثل ابن حجر العسقلاني الذي كان أول مؤلف ينهج هذا المنهج في كتابه « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ومثل تلميذه السخاوي في كتابه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، ومثل محمد بن علي الشوكاني في كتابه « البدر الطالع بمحاسن من بعد التاسع » .

وكتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلاني يترجم لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يرتب أسماء الصحابة ترتيبا أبجديا ، ولم يتبع التسلسل الزمني ، ولم يرتب التراجم حسب السنين كما كان يفعل عادة مؤرخو التاريخ الاسلامي . فاذا اتفقت أوائل الحروف ، رتب ابن حجر الأسماء بحسب الحرف الثاني ، فاذا اتفق الحرفان الأولان رتب الاسم حسب الحرف الثالث وهكذا . وهذه الطريقة التي اتبعها ابن حجر ، أي الترتيب الأبجدي ، تفضي الى تأخير المتقدم ، وتقديم المتأخر .

لم يقصد ابن حجر في كتابه ترجمة حياة الشخصيات منذ المولد حتى الوفاة ، بل هو يركز الاهتمام على مدى اعتبار الشخص المترجم له من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ودراسة أبعاد صحبته ، وجهوده في رواية الحديث .

واهتم ابن حجر بتسلسل نسب الصحابي ، ونسبه الى قبيلته أو عشيرته ، واذا عجز عن معرفة نسبه قال عنه « غير منسوب » والتزم ابن حجر غالبا الايجاز في معظم ترجماته ، ولكن مالت بعض التراجم الى الطول . واهتم ابن حجر بضبط الألفاظ التي لا يؤمن تصحيفها بالحروف لا بالشكل

واهتم ابن حجر بذكر مصادره التي اعتمد عليها في ترجمته ، وأسند الروايات الى روايتها ، وبذلك حقق الأمانة العلمية التي اشتهر بها .

ترجم ابن حجر لكثير من الشخصيات ، عربا وغير عرب ، رجالا ونساء . وكلهم من صحابة الرسول ، وان اختلفت درجة صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

يقع كتاب ابن حجر (الاصابة) في أربعة أجزاء كبيرة ، ترجم ابن حجر في الأجزاء الثلاثة الأولى لعدد كبير من الصحابة ، على حسب الترتيب الأبجدي للاسماء ، وبلغ عددهم ٩٤٧٧ صحابيا . ثم خصص ابن حجر الجزء الرابع لترجمة الصحابة حسب الكنى ، وبلغ عدد هؤلاء الصحابة ١٢٦٨ رجلا ، و ١٥٢٢ امرأة وبذلك تلافى ابن حجر في جزئه الرابع عيوب طريقة ترتيب التراجم حسب الأسماء الأولى ، حيث انها تقتضى معرفة الباحث لاسم المترجم له .

اهتم ابن حجر في كتابه (الاصابة) بكتابة مقدمة طويلة لدراسته ، قبل أن يبدأ ترجماته ، فتحدث في هذه المقدمة عن أهداف الكتاب ، وأشار الى مؤلفات من سبقوه الذين ترجموا لصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام وتقد بعض هذه الكتب ، ثم تحدث ابن حجر عن منهجه الذي سينتجه في تراجمه ، ثم قسم ابن حجر الصحابة الى أربع طوائف ، ثم تحدث في فصول ثلاثة عن تعريف الصحابي ، والطريق الى معرفة كون الشخص صحابيا ، وبيان حال الصحابة من العدالة وهذا رغم أن ابن حجر في كتابه الآخر (الدرر الكامنة) كتب مقدمة موجزة لا تزيد على العشرين سطرا . ويختلف الكتابان أيضا من عدة نواح ،

أبرزها الموضوع ، فكتاب الاصابة يترجم لفئة معينة هم صحابة الرسول (ص) ، بينما كتاب الدرر الكامنة يترجم لرجال القرن الثامن الهجرى فقط ، على اختلاف صفاتهم . ويتفق الكتابان فى الأمانة العلمية ، حيث يشير ابن حجر دائما الى مصادر روايته ، وفى الاهتمام بالترجمة للنساء الى جانب اهتمامه بالرجال ، والترجمة لمختلف الأجناس الى جانب ترجمته للعرب . فقد خصص ابن حجر نصف الجزء الرابع لترجمة النساء من الصحابة ، وجعل عنوانه (كتاب النساء) ، واتبع نفس المنهج .

دراسة لكتاب الاصابة :

حدد ابن حجر هدفه من وضع كتابه (الاصابة) فقال انه أراد الحديث عن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتمييزهم عن غيرهم ، وأنه أراد بذلك خدمة (علم الحديث النبوى) باعتباره أشرف الدراسات الدينية فقال ابن حجر فى مقدمة كتابه : « أما بعد ، فان من أشرف العلوم الدينية ، علم الحديث النبوى ، ومن أجل معارفه تمييز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلف بعدهم » .

وقارن ابن حجر بين كتابه (الاصابة) ، والكتب التى وضعها مؤلفون آخرون سابقون له ، فقال : ان (أبا عبد الله البخارى) كان أول من وضع مؤلفا فى هذا الموضوع ، ثم جاء أبو القاسم البغوى فنقل عن البخارى . ثم تبعهما مؤلفون آخرون مثل أبى بكر بن داود ، وعبدان ، وأبى على بن السكن ، وأبى حفص بن شاهين ، وأبى منصور الماوردى ، وأبى حاتم بن حبان . ثم جاء بعدهم الطبرانى الذى تحدث عن الصحابة ضمن من ترجم لهم فى معجمه

الكبير ، ثم تبعهم أبو عبد الله بن منده ، وأبو نعيم ، ثم أبو عمر بن عبد البر .

ووقف ابن حجر قليلا عند كتاب ابن عن البر ، وهو كتاب (الاستيعاب فى أسماء الأصحاب) ونقد ابن حجر هذا الكتاب ، وذكر ان ابن عبد البر لم يستوف أسماء الصحابة ، فقال : « وسمى - أى ابن عبد البر - كتابه الاستيعاب لظنه أنه استوعب ما فى كتب من قبله ، ومع ذلك ففاته شئ كثير » . وبدل ابن حجر على نقص كتاب الاستيعاب بأن أبا بكر بن فتحون كتب له « ذيل حافلا » . كما ذكر ابن حجر أن كتاب أبى عبد الله بن منده لم يضم أسماء الصحابة كلهم أيضا ، ولذا قام أبو موسى المدينى بالتذييل .

ثم انتهى ابن حجر فى حديثه عن كتب من سبقوه الى الحديث عن كتاب أسد الغابة لابن الأثير ، ونقده ، فذكر أنه حوى كثيرا مما ذكره السابقون ، ولكنه خلط بين الصحابة وغيرهم ، ولم يميز بينهم ، فقال ابن حجر « فجمع عز الدين بن الأثير كتابا حافلا سماه أسد الغابة ، جمع فيه كثيرا من التنبيه على كثير من الأوهام الواقعة فى كتبهم ، ثم جرد الأسماء التى فى كتابه ، مع زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبى ، وعلم لمن ذكر غلطا ، ولمن لا تصح صحبته ، ولم يستوعب ذلك ولا قارب »

ويذكر ابن حجر أن الأخطاء التى وقع فيها ابن الأثير ، جعلت كتابه لا ينفى بالغرض المقصود ، أى الترجمة لصحابة الرسول ، ولذا رأى ابن حجر أن يضع كتابا يتلافى فيه هذه الأخطاء ، ويتجنب الخلط بين الصحابة وغيرهم ، ويذكر أسماء الصحابة الذين أغفلهم ابن الأثير ، فقال ابن حجر . « وقد وقع لى بالتبع كثير من الأسماء التى ليست فى كتابه -

أى كتاب أسد الغابة - ولا أصله على شرطهما .
فجمعت كتابا كبيرا فى ذلك ميزت فيه الصحابة عن
غيرهم » .

ويحتاط ابن حجر لنفسه ، فهو يخشى أن يتهمه
البعض مستقبلا من أنه قد فاته ذكر بعض الصحابة ،
فنراه يظهر فى مظهر المحتاط ، والمتواضع أيضا ،
فيقول : « .. ومع ذلك فلم يحصل لنا من ذلك
جميعا الوقوف على العشر من أسامى الصحابة ،
بالنسبة الى ما جاء عن أبى زرعة الرازى ، قال :
توفى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن رآه وسمع
منه زيادة على مائة ألف انسان من رجل وامرأة كلهم
قد روى عنه أو رآه » .

ويرى ابن حجر أنه من العسير تحديد أو استيعاب
كل صحابة الرسول ، وقد اختلف العدد من كتاب
الى آخر ، فقد جاء فى كتاب الاستيعاب لابن عبد
البر أسماء ثلاثة آلاف وخمسمائة ، بينما ذكر الحافظ
الذهبى فى كتابه (التجريد) ثمانية آلاف صحابى ،
وذكر ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة أسماء سبعة
آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسين صحابيا . ويفسر ابن
حجر هذا الاختلاف فى احصاء عدد الصحابة بأنه
لم يكن هناك ديوان يثبت عددهم وأسماءهم .
كما توفى بعض الصحابة فى حروب الردة فى عهد
أبى بكر ، أو فى الفتوحات الاسلامية فى عهد عمر
ابن الخطاب ، غير من مات منهم بالطاعون . كما
كان من بين الصحابة كثير من البدو « الأعراب » ،
ومن العسير احصاء عددهم .

وضع ابن حجر لكتابه منهجا ، يتبعه فى الترجمة
للصحابة ، ووضح هذا المنهج فى مقدمته ، فذكر
أنه قسم الصحابة الى أربعة مجموعات متميزة
هى :

أولا : الصحابة الذين عاصروا الرسول ورووا
عنه ، أو عن غيره من المعاصرين له ، فيقول ابن
حجر عنهم :

« فالقسم الأول فيمن وردت صحبته بطريق
الرواية أو عن غيره ، سواء كانت الطريق صحيحة
أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ذكره بما يدل على
الصحة بأى طريق كان » .

ثانيا : أنباء الصحابة الذين ولدوا فى عهد
الرسول ، وعاشوا فترة طفولتهم أو شبابهم المبكر
فى عصره ، وقد جرت العادة أن يقدم المسلمون
بأولادهم على الرسول ، فيباركهم ويسميهم ،
ويحنكهم بتمرة ، فكون أول ما دخل فى جوف
الطفل ريق الرسول صلى الله عليه وسلم . واعتبر
ابن حجر هؤلاء ناقلين عن آبائهم من الصحابة .

قال ابن حجر عن هذه الطائفة الثانية : « القسم
الثانى فيمن ذكر فى الصحابة من الأطفال الذين
ولدوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من النساء
والرجال ، فمن مات صلى الله عليه وسلم وهو فى
دون سن التمييز ، اذ ذكر أولئك فى الصحابة انما
هو على سبيل اللاحق ، لغلبة الظن على أنه صلى
الله عليه وسلم رآهم لتوفر دواعى أصحابه على
احضارهم أولادهم عنده عند ولادتهم ، ليحنكهم
ويسميهم ويركئ عليهم ، والأخبار بذلك كثيرة
شهيرة .. لكن أحاديث هؤلاء عنه من قبيل المراسيل
عند المحققين من أهل العلم الحديث ، ولذلك أفردتهم
عن أهل القسم الأول » .

ثالثا : المخضرمون ، الذين عاصروا الجاهلية
والاسلام ، ولم يجتمعوا بالرسول أو يصحبوه ،
وبعضهم أسلم ، واحتفظ البعض الآخر بأديانهم ،

ويرى ابن حجر أن أفراد هذا الفريق ليسوا من الصحابة ، وأنه إذا كانت بعض الكتب الأخرى قد ذكرت أسماءهم ، فذلك لأنهم معاصرون لصحابة الرسول ، وضرب ابن حجر لهذا الفريق مثلاً بنجاشي الحبشة . وابن حجر ينتقد المؤلفين الذين سبقوه في الحديث عن الصحابة ، وخاصة ابن عبد البر ، لأنهم اعتبروا هذا الفريق من صحابة الرسول .

قال ابن حجر عن هذا الفريق : « القسم الثالث فيمن ذكر في الكتب المذكورة من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ولأرأوه ، سواء أسلموا في حياته أم لا ، وهؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق من أهل العلم الحديث ، وإن كان بعضهم قد ذكر بعضهم في كتب معرفة الصحابة ، فقد أفصحوا بأنهم لم يذكروهم الا بمقاربتهم لتلك الطبقة لا أنهم من أهلها . ومن أفصح بذلك ابن عبد البر وقبله أبو حفص بن شاهين ، فاعتذر عن اخراجه النجاشي بأنه صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ، وغير ذلك ، ولو كان من هذا سبيله يدخل عنده في الصحابة ما احتاج الى اعتذار . وغلط من جزم في نقله عن ابن عبد البر بأنه يقول بأنهم صحابة ، بل مراد ابن عبد البر بذكرهم واضح في مقدمة كتابه بنحو ماقررناه وأحاديث هؤلاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسله بالاتفاق بين أهل العلم الحديث ، وقد صرح ابن عبد البر نفسه بذلك في التمهيد وغيره من كتبه .

رابعا : أما الفريق الرابع من الصحابة ، فيذكر ابن حجر عنهم أنه حقق أسماء الصحابة الذين

دورهم المؤلفون السابقون له ، فلم يذكر منهم الا من تأكد من أنه كان صحابيا ، ويرى ابن حجر أن هذا القسم من كتابه يمثل ما امتازت به دراسته عن دراسات غيره من جدة وجدية . فيقول ابن حجر « القسم الرابع : فيمن ذكر في الكتب المذكورة على سبيل الوهم والغلط ، وبيان ذلك البيان الظاهر الذي يعول عليه على طرائق أهل الحديث ، ولم أذكر فيه الا ما كان الوهم فيه بينا ، وأما مع احتمال عدم الوهم فلا ، والا ان كان ذلك الاحتمال يغلب على الظن فلا ، والا ان كان ذلك الاحتمال يغلب على الظن بطلانه ، وهذا القسم الرابع لا أعلم من سبقتني اليه ، ولا حام طائر فكره عليه ، وهو الضالة المطلوبة في هذا الباب الزاهر ، وزبدة ما يمخضه من هذا الفن اللبيب الماهر .

وبعد أن قسم ابن حجر الصحابة الى أربع مجموعات على هذا النحو ، يقول انه لم يقصد من تأليف كتابه الا وجه الله الكريم ، فيجازيه عليه أحسن الثواب ، فيقول : « والله تعالى أسأل أن يعين على اكماله ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، ويجازيني به خير الجزاء في دار أفضاله انه قريب مجيب » .

وقبل أن يبدأ ابن حجر ذكر أسماء الصحابة حسب الحروف الأبجدية ، عقد ثلاثة فصول صغيرة ، تناولت بعض الموضوعات الهامة التي تعين القارئ على فهم منهج ابن حجر ودراسته ، فقال ابن حجر عنها : « وقبل الشروع في الأقسام المذكورة ، أذكر فصولا مهمة يحتاج اليها في هذا النوع » .

أما هذه الفصول الثلاثة فعناوينها :

١ - في تعريف الصحابي .

٢ - في الطريق الى معرفة كون الشخص صحابيا .

٣ - في بيان حال الصحابة من العدالة .

الفصل الأول : « في تعريف الصحابي » :

يعرف ابن حجر الصحابي تعريفا عاما شاملا ، فيقول انه من لقي الرسول عليه الصلاة والسلام ، وآمن به ، ومات على الاسلام .

ثم يفصل ابن حجر الحديث عن أبعاد هذا اللقاء « فيدخل فيه من لقيه : من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ولم يره لعارض كالعمى ، ويخرج بقيد الايمان من لقيه كافرا ولو أسلم بعد ذلك اذا لم يجتمع به مرة أخرى » .

ثم يشير ابن حجر مسألة من التقى بالرسول من أهل الكتاب قبل البعثة ، فيقول : « وقولنا به يخرج من لقبه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمنى أهل الكتاب قبل البعثة ، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل ؟ محل احتمال . ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظرائه » .

ويرى ابن حجر أن صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام هم من التقوا به ، من الجن والانس على السواء ، وبعد أن عارض ابن حجر آراء ابن الاثير وابن حزم في هذه المسألة ، قال : « فان الله تعالى قد أعلمنا أن نفرا من الجن آمنوا وسمعوا القرآن

من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم صحابة فضلاء » .

ثم تسأل ابن حجر : « وهل تدخل الملائكة ضمن صحابة الرسول ؟ » وأجاب على تساؤله فقال : « محل نظر ، وقد اقل بعضهم ان ذلك ينبنى على أنه هل كان مبعوثا اليهم أولا ؟ وقد نقل الامام فخر الدين في أسرار التنزيل الاجماع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن مرسلا الى الملائكة ونوزع في هذا النقل ، بل رجح الشيخ تقى الدين السبكي أنه كان مرسلا اليهم ، واحتج بأشياء يطول شرحها وفي صحة بناء هذه المسألة على هذا الأصل نظر لا يخفى » .

ويعود ابن حجر فيشير الى ضرورة وفاة الصحابي الذي التقى بالرسول وهو على الاسلام ، أما كل من ارتد عن الاسلام فقد سقط عنه اعتباره من صحابة الرسول . وذكر ابن حجر ثلاثة أمثلة ، الأول عبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة وهاجر معها الى الحبشة ثم اعتنق المسيحية ، والثاني هو عبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، والثالث هو ربيعة بن أمية ابن خلف . أما من ارتد وعاد الى الاسلام قبل أن يموت ، فيعتبره ابن حجر صحابيا ، سواء اجتمع بالرسول مرة أخرى أم لا .

ثم ناقش ابن حجر آراء غيره من العلماء الذين حددوا شروطا أربعة لمن يعتبرونه صحابيا ، وعارض هذه الآراء ، فقال : « .. ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة ، كقول من قال : لا يعد صحابيا الا من وصف بأحد أوصاف أربعة : من طالت مجالسته ، وأحفظت روايته ، أو ضبط أنه غزا معه ، واستشهد بين يديه » .

أما الشرط الأول ، فهو ثبوت العدالة على كل من يعتبر صحابيا ، فيقول ابن حجر : « أما الشرط الأول وهو العدالة ، فجزم به الآمدى وغيره لأن قوله قبل أن تثبت عدالته أنا صحابى ، أو ما يقوم مقام ذلك ، يلزم من قبول قوله اثبات عدالته ، لأن الصحابة كلهم عدول ، فيصير بمنزلة قول القائل أنا عدل ، وذلك لا يقبل . »

أما الشرط الثانى ، وهو المعاصرة « فيعتبر بمضى مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبى ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لقوله ، صلى الله عليه وسلم ، فى آخر عمره لأصحابه « أرايتكم ليلتكم هذه ، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد » رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر . »

ويرى ابن حجر أنه لا يجوز اطلاق صفة (الصحابى) بعد سنة ١١٠ هـ ، « ولم تصدق الأئمة أحدا ادعى الصحبة بعد الغاية المذكورة ، وقد ادعاها جماعة فكذبوا ، وكان آخرهم رتن الهندى » . وسنذكر ما قاله ابن حجر عن رتن الهندى ضمن مقتطفاتنا من كتابه .

الفصل الثالث : (فى بيان حال الصحابة من العدالة) :

يرى ابن حجر أن أهل السنة قد اتفقوا جميعا على أن جميع الصحابة عدول ، ثم ينقل ابن حجر ما ذكره الخطيب فى (الكفاية) من أن « عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم » .

ويستند ابن حجر فى اثبات عدل وطهارة الصحابة واختيار المولى عز وجل لهم ، على كثير

ويعارض ابن حجر أيضا الآراء التى تشترط فى صحة الصحبة « بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت » . كما يعارض كل من يرى على وجه الاطلاق أن « من رأى النبى ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو صحابى » . ويشترط ابن حجر فى الرؤية شرطا هو التمييز ، فيقول : « وهو محمول على من بلغ سن التمييز ، اذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية اليه . نعم يصدق أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، رآه فيكون صحابيا من هذه الحيثية ، ومن حيث الرواية يكون تابعيا » .

ثم يتساءل ابن حجر : وهل يدخل من رآه ميتا قبل أن يدفن ، كما وقع لأبى ذؤيب الهذلى الشاعر ؟ وأجاب ابن حجر على تساؤله فقال : « ان صح محل نظر ، والراجح عدم الدخول » .

ويرى ابن حجر أنه من اليسير تمييز الصحابة عن غيرهم ، فقد كان المسلمون فى الفتوح لا يؤمرون الا بالصحابة ، كما أنه لم يبق بمكة ولا الطائف أحد فى سنة ١٠ هـ الا وأسلم وشهد مع الرسول عليه الصلاة والسلام حجة الوداع ، كما أن جميع أبناء الأوس والخزرج ، أى الأنصار ، قد دخلوا جميعا فى الاسلام ، ولم يرتد أحد منهم .

الفصل الثانى « فى الطريق الى معرفة كون الشخص صحابيا » :

يرى ابن حجر أن الصحابى هو من تواترت الأخبار عن صحبته ، أو اشتهر بذلك ، أو يشهد أحد الصحابة أو التابعين بأنه كان صحابيا ، ثم يحدد ابن حجر شرطين لا بد من توافرها فى الصحابى ، وهما : العدالة ، والمعاصرة .

من الآيات القرآنية الكريمة ، منها : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ، (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ، (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعوك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم) ، (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) ، (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) .

ويرى ابن حجر أن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ، وهى كثيرة ، قد قطعت بتعديل الصحابة « ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له الى تعديل أحد من الخلق » .

ويشيد ابن حجر بفضائل الصحابة ، فقد شاركوا فى الهجرة ، وجاهدوا فى سبيل الله ونصرة الاسلام ، وبذلوا الأرواح والأموال ، الى جانب ما اتصفوا به من قوة الايمان والمناصحة فى الدين ، وكل هذه الفضائل تؤدى الى « القطع على تعديلهم ، والاعتقاد لنزاهتهم » . ويعتبر ابن حجر أن الذين انتقصوا أحدا من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام من الزنادقة « وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة » .

وأورد ابن حجر كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة التى تشيد بصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فذكر منها : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » .

ويرى ابن حجر رأى ابن حزم وهو أن جميع

الصحابة من أهل الجنة ، وأنه لا يدخل أحدهم النار ، ويعتمد فى هذا رأى على كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، منها (لا يستوى منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ، ومن هذه الآيات الكريمة أيضا : (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) .

وناقش ابن حجر رأى (المارزى) فى (شرح البرهان) الذى يشترط فى الصحابة أن يكونوا قد لازموا الرسول ، وعزروه ، ونصروه . وعارض ابن حجر هذا رأى وقال : « هو قول غريب يخرج كثيرا من المشهورين بالصحة والرواية عن الحكم بالعدالة ، كوائل بن حجر ، ومالك ابن الحويرث ، وعثمان بن أبى العاص ، وغيرهم ممن وفد عليه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقيم عنده الا قليلا وانصرف ، وكذلك من لم يعرف الا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار اقامته من أعراب القبائل ، والقول بالتعميم هو الذى صرح به الجمهور وهو المعتمد » .

وعدد ابن حجر « أكثر الصحابة فتوى » فقال انهم سبعة : عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت وعائشة ، رضوان الله عليهم .

ويلي هؤلاء فى الفتوى عشرون آخرون هم : أبو بكر ، وعثمان ، وأبو موسى ، ومعاذ ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو هريرة ، وأنس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وسلمان ، وجابر ، وأبو سعيد ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ،

وعمران بن حصين ، وأبو بكر ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وأم سلمة .

وفى نهاية هذه الفصول الثلاثة ، يذكر ابن حجر أنه اعتمد على (تجريد الذهبى) ، وأنه ميز كل الأسماء التي انفرد بذكرها بحرف (ز) ثم يبدأ ابن حجر فى ترجمته للصحابة على حروف المعجم .

مقتطفات من كتاب الاصابة :

١ - ترجم ابن حجر لأربعة أشخاص ، وكل منهم يدعى (أبرهة) ، وهم من الأجباش أو الحميريين ، فقد انتقل هذا الاسم من بلاد الحبشة الى بلاد اليمن بعد نجاح الجيش الحبشى فى القضاء على الدولة الحميرية فى بلاد اليمن ، وسنذكر ترجمة ابن حجر لأحدهم ، ويبدو فى هذه الترجمة منهج ابن حجر ، ومناقشته للعلماء الذين سبقوه الى الترجمة للصحابة .

(أبرهة) : قال ابن فتحون فى الذيل هو أحد الثمانية الشاميين الذين وفدوا مع جعفر مع اثنين وثلاثين من الحبشة ، وإياهم عنى الله بقوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) . حكاه الماوردى عن قتادة . وسمى مقاتل الثمانية المذكورين : أبرهة ، وادريس ، وأشرف ، وأيمن ، وبحيرا ، وتاما ، وتميما ، ونافعا . حكاه أبو موسى فى الذيل . وظن ابن الأثير أن بحيرا هذا هو الراهب المشهور الذى رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة ، فقال قد ذكره ابن منده فلا وجه لاستدراكه . والظاهر أنه غيره ، لأنه انما رآه فى أرض الشام ، وهذا الآخر انما هو من الحبشة ، وأين الجنوب من الشمال ؟ ولا مانع

من أن يسمى اثنان باسم واحد . وروى أبو الشيخ وغيره فى التفسير عن سعيد بن جبير فى هذه الآية ، قال : قال الذين آمنوا من أصحاب النجاشى للنجاشى ائذن لنا فلنأت هذا النبى الذى كنا نجده فى الكتاب ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فشهدوا معه أحدا ، فهذا يدل على أن للقصة أصلا ، والله أعلم .

٢ - وهذه هى ترجمة ابن حجر للأرقم ، وهو من السابقين الى الاسلام ، وكان الرسول يلتقى فى داره بالمسلمين الأولين ، فى أول ظهور الاسلام :

(الأرقم) بن أبى الأرقم : وكان اسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، يكنى أبا عبد الله . قال ابن السكن أمه تماضر بنت صريم السهمية ، ويقال بنت عبد الحارث الخزاعية ، كان من السابقين الأولين ، قيل أسلم بعد عشرة ، وقال البخارى له صحبة ، وذكره ابن اسحق وموسى بن عقبة فىمن شهد بدرا ، وروى الحاكم فى ترجمته فى المستدرک أنه أسلم سابع سبعة ، وكانت داره على الصفا ، وهى الدار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس فيها فى الاسلام ، وذكر قصة طويلة لهذه الدار ، وأن الأرقم حبسها ، وأن أحفاده بعد ذلك باعوها لأبى جعفر المنصور ، ورواه ابن منده من طريق أقوى من طريق الحاكم وهى عن عبد الله بن عثمان بن الأرقم عن جده وكان بدريا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى داره التى عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلمين ، وكان آخرهم اسلاما عمر ، فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا ، وروى أحمد من طريق عثمان بن الأرقم عن أبيه ، وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله

٣ - وكنا قد ذكرنا أن ابن حجر يعتبر الجن الذين التقوا بالرسول أو استمعوا إلى ما كان يتلوهم من آيات كريمة ، من الصحابة ، وقد ترجم ابن حجر لأحدهم وسماه (الأرقم) ، فقال :

(الأرقم الجنى) : أحد الجن الذين استمعوا القرآن ، من جن نصيين . ذكر اسماعيل بن أبي زياد في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى (واذا صرفنا إليك نفر من الجن يستمعون القرآن) الآية . قال هم تسعة : سليط ، وشاصر ، وخاصر ، وجسا ، ومسا ، ونخعم ، والأرقم ، والأدرس ، وخاضر .

٤ - ترجم ابن حجر لرجل يدعى (الأزرق) ، وكان رقيقا ، اعتنق الاسلام ، فأعتقه الرسول عليه الصلاة والسلام : (الأزرق) بن عقبة أبو عقبة الثقفى ، مولا هم ، كان من عبيد كلدة الثقفى . وفيل من عبيد الحارث بن كلدة فنزل إلى النبى صلى الله عليه وسلم أيام حصار الطائف فأسلم فأعتقه النبى ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وسلمه لخلد بن سعيد بن العاص . ليمونه ويعلمه ، فصار حليفا في بنى أمية فأنكحوه ونكحوا إليه ، ذكره الواقسى فى المغازى ، وكذا ابن اسحاق باختصار واستدركه ابن فتحون . قلت : سيأتى له ذكر فى ترجمة الحارث بن كلدة . قال البلاذرى كان الأزرق حدادا روميا تزوج سمية والدة عمار بعد أن فارقها يأسرفوندت له سلمة بن الأزرق ، فهو أخو عمار لأمه ، ثم ادعى ولد عمر وعقبة ، وهم من غير سمية ، أنهم من ولد الحارث ابن أبى شمر الفسائى وأنهم حلفاء بنى أمية وشرفوا بمكة ، وكذا ذكره الطبرى .

٥ - ترجم ابن حجر لأسامة بن زيد ، وهو من

وسلم ، قال : « ان الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويغرق بين الاثنين بعد خروج الامام كالجار قصبته فى النار » . واخرجه الحاكم أيضا ، لكن قال الدارقطنى فى الافراد ، تفرد به هشام بن زياد وهو أبو المقدم وقد ضعفوه ، وروى الحاكم أيضا أن الأرقم أوصى أن يصلى عليه سعد بن أبى وقاص ، وروى ابن منده من طريق ابن المنذر ، قال توفى الأرقم فى خلافة معاوية سنة خمس وخمسين ، ثم روى بسند لين عن عثمان بن الأرقم ، قال توفى أبى سنة ثلاث وخمسين ، وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه سعد بن أبى وقاص ، وروى أبو نعيم وابن عبد البر بسند منقطع أنه توفى يوم مات أبو بكر الصديق ، وحمله ابن عبد البر على أن المراد بذلك والده أبو الأرقم كما سيأتى فى ترجمته ، وشهد الأرقم بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، وأقطعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم دارا بالمدينة ، وقال ابن عبد البر وقع لابن أبى حاتم فيه وهم فانه جعل الأرقم هذا والد عبد الله بن الأرقم يعنى الذى كان على بيت المال لعثمان ، وهذا زهرى والأول مخزومى ، ووالد الزهرى اسمه عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف . قلت : روى الطبرانى عن طريق الثورى عن ابن أبى ليلى عبد الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : استعمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم الأرقم بن الأرقم الزهرى على السعاية ، فاستتبع أبا رافع مولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « يا أبا رافع ان الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد » . فهذا يدل على أن للأرقم الزهرى أيضا صحبة ، لكن رواه شعبة عن الحكم عن مقسم فقال استعمل رجلا من بنى مخزوم ، وكذلك أخرجه أبو داود وغيره ، واسناده أصح من الأول .

الشباب الذين يفخر بهم المسلمون وكان موضع تقدير من الرسول وصحابته ، فقال : (أسامة) بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ابن وبرة الكلبى الحب بن الحب ، يكنى أبا محمد ، ويقال أبو زيد ، وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن سعد ولد أسامة فى الاسلام ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوجه فأنفذه أبو بكر وكان عمر يجله ويكرمه وفضله فى العطاء على ولده عبد الله بن عمر ، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان الى أن مات فى أواخر خلافة معاوية ، وكان قد سكن المزة من عمل دمشق ، ثم رجع فسكن وادى القرى ، ثم نزل الى المدينة فمات بها بالجرف ، وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين ، وقد روى عن أسامة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومن كبار التابعين أبو عثمان الهندي وأبو وائل وآخرون ، وفضائله كثيرة وأحاديثه شهيرة .

٦ - ترجم ابن حجر لأحد اليهود الذين اعتنقوا الاسلام ، وهو من يهود بنى قريظة ، فقال :

(أسد) بن سعية القرظى : أحد من أسلم من اليهود ، روى ابن السكن عن طريق سعيد بن بزيع عن ابن اسحاق ، قال حدثني عاصم بن عمرو ابن قتادة أن شيخا من بنى قريظة حدثه أن اسلام ثعلبة بن سعية ، وأسد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، انما كان عن حديث ابن الهيثم ، فذكر قصته بطولها ، وأنه كان يعلمهم بقدم النبي صلى الله

عليه وآله وسلم قبل الاسلام ، فلما كانت الليلة التى فى صباحها فتح قريظة ، قال لهم هؤلاء الثلاثة : يا معشر يهود انه والله للرجل الذى كان وصف لنا ابن الهيثم فأتقوا الله واتبعوه ، فأبوا عليهم فنزل الثلاثة الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، ورواه أيضا من طريق يحيى بن محمد بن عباد الشجرى عن ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن سعيد بن المسيب عن جابر والاسناد الأول أقوى . وروى الطبرى وابن منده من طريق أخرى عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد وأسد أو أسيد بن سعية ، قال يهود : ما أتى محمدا الا شرارنا . فأنزل الله تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب الى قوله - الصالحين) .

٧ - ترجم ابن حجر لصحابى يدعى الأسود ، قصد الرسول طالبا صحبتته ، فقربه الرسول اليه حتى سماه الناس المقرب ، فقال :

(الأسود) بن عيس بن أسماء بن وهب بن رياح بن عوذ بن منقذ بن كعب بن ربيعة الجذع بن مالك بن حنظلة بن زيد مناه بن تميم : ذكر هشام بن الكلبي أنه وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : جئت لأقرب الى الله بصحبتك . فسماه المقرب . وذكر سيف بن عمر عن ورقاء بن عبد الرحمن الحنظلى ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الأسود بن ربيعة ، من ولد ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فقال : « ما أقدمك ؟ » قال : أقرب بصحبتك . فترك الأسود وسمى المقرب ، وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشهد مع على صفين . وروى

الطبرى أن عمر استعمل الأسود بن ربيعة أحد بنى ربيعة بن مالك على جند البصرة وهو صحابى مهاجرى ، وهو الذى قال : جئت لأقترب فسسى المقرب . قال بعض الحفاظ لعل بعضهم نسبه الى جده الأعلى ربيعة ، والله أعلم .

٨ - ترجم ابن حجر لابراهيم بن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأمدنا بكثير من المعلومات ، وناقش آراء غيره من المترجمين ، فقال : (ابراهيم) ابن سيد البشر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم : أمة مارية القبطية ، ولدته فى ذى الحجة سنة ثمان ، قال مصعب الزيرى ومات سنة عشر ، جزم به الواقدي ، وقال يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر ربيع الأول ، وقالت عائشة عاش ثمانية عشر شهرا ، وقال محمد بن المؤمل بلغ سبعة عشر شهرا وثمانية أيام ، وأخرج ابن منده من طريق ابن لهيعة عن عقيل ويزيد بن أبى حبيب ، كلاهما عن ابن شهاب ، عن أنس ، لما ولد ابراهيم من مارية جاريته كان يقع فى نفس النبی صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى آتاه جبريل عليه السلام ، فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم . هذا حديث غريب من حديث الزهرى وقال أحمد فى مسنده ، حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد ، حدثنا أبى عن ابن اسحاق ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لقد توفى ابراهيم ابن النبی ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو ابن ثمانية عشر شهرا فلم يصل عليه . اسناده حسن ، ورواه البزار وأبو يعلى وصححه ابن حزم ، لكن قال أحمد فى رواية حنبل عنه حديث منكر ، وقال الخطابى حديث عائشة حسن اتصالا من الرواية التى فيها أنا أصلى عليه ، قال ولكن هى أولى . وقال ابن عبد البر حديث عائشة لا يصح ، ثم قال

وقد يحتمل أن يكون معناه لم يصل عليه فى جماعة أو أمر أصحابه ، فصلوا عليه ولم يحضرهم ، وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس قال : لما مات ابراهيم بن النبی صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان له مرضعا فى الجنة فلو عاش لكان صديقا نبيا ، ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطى » . وفى سنده أبو شعبة الواسطى ابراهيم بن عثمان وهو ضعيف ، وأخرجه ابن منده من هذا الوجه ووقع لنا من طريقه بعلو وقال غريب ، وروى ابن سعد وأبو يعلى من طريق عطاء بن عجلان ، وهو ضعيف ، عن أنس النبی صلى الله عليه وآله وسلم ، صلى على ابنه ابراهيم وكبر عليه أربعا ، وروى البزار من طريق أبى نضرة عن أبى سعيد مثله ، وفيه عبد الرحمن بن مالك بن معقل وهو ضعيف ، وروى أحمد من طريق جابر الجعفى أحد الضعفاء عن الشعبي عن البراء قال : قد صلى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، على ابنه ابراهيم ، ومات وهو ابن ستة عشر شهرا ، ورواه ابن أبى شعبة فى مصنفه ، فلم يذكر البراء وكذا عبد الرزاق ، وروى البيهقى فى الدلائل عن طريق سليمان ابن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، صلى على ابنه ابراهيم حين مات ، قال النووى : الذى ذهب اليه الجمهور أنه صلى عليه وكبر عليه أربع تكبيرات ، وفى صحيح البخارى أنه عاش سبعة عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا على الشك ، وأخرج ابن منده من طريق أبى عامر الأسدى عن سفيان عن السدى عن أنس ، قال : توفى ابراهيم بن النبی صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ستة عشر شهرا ، فقال ادفنوه بالبقيع فان له مرضعا تتم

وضاعه فى الجنة ، وقال غريب لانعرفه من حديث الثورى الا من هذا الوجه .

٩ - ترجم ابن حجر لنجاشى الحبشة الذى هاجر المسلمون الى بلاده مرتين فى عهد الرسول ، وقد حقق ابن حجر مسألة اسلام هذا النجاشى ، وقرن ترجمته بدراسة لغوية لاسم النجاشى :

(أصحمة) بن أبحر النجاشى : ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية ، والنجاشى لقب له ، أسلم على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يهاجر اليه ، وكان ردءا للمسلمين نافعا ، وقصته مشهورة فى المغازى فى احسانه الى المسلمين الذين هاجروا اليه فى صدر الاسلام ، وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلته صلى الله عليه وآله وسلم عليه صلاة الغائب من طرق منها رواية سعيد بن ميناء عن جابر ، ومنها رواية عطاء عن جابر ، لما مات النجاشى قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « قد مات اليوم عبد صالح يقال له أصحمة فقوموا فصلوا على اصحمة فصفقنا خلفه » . هذا لفظ القطان عن ابن جريج عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى رواية ابن عيينة عن ابى جريج « قد مات اليوم عبد صالح فقوموا فصلوا على أصحمة » . قال الطبرى وجماعة ، كان ذلك فى رجب سنة تسع وقال غيره كاذ قبل الفتح ، قال ابن اسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة لما مات النجاشى كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور ، وعند ابن شاهين والدارقطنى فى الأفراد من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : « قوموا فصلوا على أخيكم النجاشى » . فقال بعضهم : تأمرنا أن نصلى على عالج من الحبشة ؟

فأنزل الله تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الى آخر السورة ، قال الدارقطنى لا نعلم رواه غير أبى هانىء أحمد بن بكار عن معتمر ، وجاء من طريق زمعة بن صالح عن الزهرى ويحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : أصبحنا ذات يوم عند رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ووئبنا معه حتى جاء المصلى فقام فصفقنا وراءه فكبر أربع تكبيرات. والنجاشى - بفتح النون - على المشهور ، وقيل تكسر عن ثعلب وتخفيف الجيم ، وأخطأ من شددتها عن المطرزى وبتشديد آخره، وحكى المطرزى التخفيف ورجحه الصنعانى . واصحمة بوزن أربعة وحاؤه مهملة وقيل معجمة ، وقيل انه بموحدة بدل الميم ، وقيل صحمة بغير ألف ، وقيل كذلك لكن بتقديم الميم على الصاد ، وقيل بزيادة ميم فى أوله بدل الألف عن ابن اسحاق ، فى المستدرك للحاكم ، والمعروف عن ابن اسحاق الأول ، ويتحصل من هذا الخلاف فى اسمه ستة ألقاب لم أرها مجبوعة.

١٠ - ترجم ابن حجر لبلال مؤذن الرسول والمسلمين فقال :

(بلال) بن رباح الحبشى ، وهو بلال بن حمامة ، وهى أمه : اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد ، فأعتقه ، فلزم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأذن له ، وشهد معه جميع المشاهد وأخى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح ، ثم خرج بلال بعد النبى ، صلى الله عليه وآله وسلم ، مجاهدا الى أن مات بالشام . قال أبو نعيم : كان ترب أبى بكر ، وكان خازن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

وروى أبو اسحاق الجوزجاني في تاريخه من طريق منصور عن مجاهد ، قال ، قال عمار : كل قد قال ما أرادوا ، يعنى المشركين ، غير بلال . ومناقبه كثيرة مشهورة ، قال ابن اسحاق كان لبعض بنى جمح مولد من مولديهم واسم أمه حمامة ، وكان أمية بن خلف يخرجها اذا حميت انظهيره فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ، فيقول وهو في ذلك : أحد أحد . فمر به أبو بكر فاشتراه منه بعبد له أسود جلد . قال البخاري ومات بالشام زمن عمر ، وقال ابن بكير مات في طاعون عمواس ، أو قال عمرو بن علي مات سنة عشرين ، وقال ابن زبر مات بدارية ، وفي المعرفة لابن منده أنه دفن بحلب .

١١ - ترجم ابن حجر لحسان بن ثابت شاعر الرسول فقال :

(حسان) بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ابن زيد بن مناة بن عدى بن مالك بن النجار الانصاري الخزرجي ثم النجاري : شاعر رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمه الفريضة بالفاء والعين المهملة مصغرا ، بنت خالد بن حبيش ابن لؤذان ، خزرجية أيضا ، أدركت الاسلام فأسلمت وبايعت ، وقيل هي أخت خالد لا ابنته ، يكنى أبا الوليد وهي الأشهر وأبا المضرب وأبا الحسام وأبا عبد الرحمن . وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أحاديث روى عنه سعيد ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وآخرون . قال أبو عبيدة : فضل حسان ابن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار

في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام ، وكان مع ذلك جباناً . وفي الصحيحين من طريق سعيد بن المسيب قال : مر عمر بحسان في المسجد وهو ينشد فلحظ اليه ، فقال كنت أنشد ، وفيه من هو خير منك ، ثم التفت الى أبي هريرة فقال : أنشدك الله أسمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » . وأخرج أحمد من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : مر عمر على حسان وهو ينشد الشعر في المسجد فقال : أفي مسجد رسول الله تنشد الشعر ؟ فقال : قد كنت وفيه من هو خير منك . وفي الصحيحين عن البراء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لحسان : « اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك » . وقال أبو داود حدثنا لؤي عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو الذين كانوا يهجون النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان روح القدس مع حسان دام ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ..

١٢ - ترجم ابن حجر لرجل يدعى (خرافة) فقال : انه كان أصل المثل السائر (حديث خرافة) ، فقال ابن حجر :

(خرافة) العذري : الذي يضرب به المثل فيقال (حديث خرافة) ، لم أر من ذكره في الصحابة ، الا أنني وجدت ما يدل على ذلك ، فأننى قرأت في كتاب الأمثال للمفضل الضبي ، قال ذكر

وقال : « ولم تصدق الأئمة أحدا ادعى الصحة بعد الغاية المذكورة ، وقد ادعاها جماعة فكذبوا ، وكان آخرهم رتن الهندي » . وهذه هي ترجمة ابن حجر لرتن هذا :

(رتن) بن عبد الله الهندي ثم البترندي ، ويقال المرندي ، ويقال رطن - بالطاء بدل التاء المثناة - ابن ساهوك بن جكندريو . هكذا وجدته مضبوطا مجودا بخط من يوثق به وضبطه بعضهم - بقاف بدل الواو - ويقال رتن بن نصر بن كربال ، وقيل رتن بن ميدن بن مندى ، شيخ خفي خبره بزعمه دهرا طويلا ، الى أن ظهر على رأس القرن السادس ، فادعى الصحة ، فروى عنه ولداه محمود وعبدالله ، وموسى بن مجلى بن بNDAR الدستري ، والحسن بن محمد الحسيني الخراساني ، والكمال الشيرازي ، واسماعيل العارفي ، وأبو الفضل عثمان بن أبي بكر بن سعيد الأربلي ، وداود بن أسعد بن حامد القفال المنحروري ، والشريف على بن محمد الخراساني الهروي ، والمعمّر أبو بكر المقدسي ، والهام السهر كندی ، وأبو مروان عبد الملك بن بشر المغربي ، لكنه لم يسمه ، قال لقيت المعمر فوصفه بنحو ما وصفوا به رتن ، ولم أجده في المتقدمين في كتب الصحابة ولا غيرهم ذكرا . لكنه ذكره الذهبي في تجريده فقال : رتن الهندي شيخ ظهر بعد ستمائة بالشرق وادعى الصحة فسمع منه الجهال ولا وجود له بل اختلق اسمه بعض الكذابين وانما ذكرته تعجبا كما ذكره أبو موسى سمرانك الهندي بل هذا ابليس اللعين قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، وأغرب من ذلك صحابي هو أفضل الصحابة مطلقا ، فذكر عيسى بن مريم عليهما السلام كما سيأتي في ترجمته

اسماعيل بن أبان الوراق عن زياد البكائي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن عبد الرحمن قال : سألت أبي - يعنى عبد الرحمن ابن عبدالله بن مسعود - عن حديث خرافة ، فقال : بلغني عن عائشة أنها قالت للنبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، حدثني بحديث خرافة ، فقال : « رحم الله خرافة انه كان رجلا صالحا وانه اخبرني انه خرج ليلة لبعض حاجته فلقية ثلاثة من الجن فأسروه ، فقال واحد نستعبده ، وقال آخر نقتله ، وقال آخر نعتقه ، فمر بهم رجل ، فذكر قصة طويلة » . وقد روى الترمذي من طريق مسروق عن عائشة قالت : حدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم نساء بحديث فقالت امرأة منهن كأنه حديث خرافة فقال : « أتدرين ما خرافة ؟ ان خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن فمكث دهرا ثم رجع ، فكان يحدث بما رأى منهم من الأعاجيب ، فقال الناس حديث خرافة » . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب ذم البغي له من طريق ثابت عن أنس قال : اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم ، فجعل يقول الكلمة كما يقول الرجل عند أهله ، فقالت احداهن كأن هذا حديث خرافة ، فقال : « أتدرين ما خرافة ؟ انه كان رجلا من بنى عذرة أصابته الجن فكان منهم حيناً فرجع فجعل يحدث بأحاديث لا تكون في الانس ، فحدث أن رجلا من الجن كانت له أم فأمرته أن يتزوج ، فذكر قصة طويلة ، ورجاله ثقات الا الراوى له عن ثابت وهو سحيم بن معاوية يروى عنه عاصم بن على ماعرفته ، فليحرر رجاله (ز) .

١٣ - كنا قد ذكرنا أن ابن حجر يرى أنه لا يجوز اطلاق صفة الصحابي بعد سنة ١١٠ هـ ،

ان شاء الله تعالى وذكره فى الميزان ، فقال : رتن الهندى وما أدراك مارتن ، شيخ دجال بلا ريب ، ظهر بعد ستمائة فادعى الصحبة ، والصحابة لا يكذبون ، وهذه جرأة على الله ورسوله ، وقد ألف فى أمره جزءا ، وقد قيل انه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه حملة كثيرة من أسمج الكذب والمحال .

١٤ - وترجم ابن حجر لأحد النصارى الذين اعتنقوا الاسلام ، وهو (سمويه) ، فقال :

(سمويه) ويقال سيماه البلقاوى : كان نصرانيا فقدم المدينة بالتجارة فأسلم . روى الطبرانى وابن قانع وابن منده من طريق منصور بن صبيح أخى الربيع بن صبيح ، قال حدثنى سمويه وفى رواية ابن قانع سيماه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وسمعت من فيه الى أذنى وحملت القمح من البلقاء الى المدينة فبعنا وأردنا أن نشترى التمر فمنعونا فأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أما يكفيكم رخص هذا الطعام بغلاء هذا التمر الذى تحملونهم ذروهم . وكان سمويه نصرانيا شماسا ، فأسلم وحسن اسلامه ، وعاش مائة وعشرين سنة ، ظاهر سياق خبره عند الخطيب فى المؤتلف أنه أسلم بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

١٥ - اهتم ابن حجر بتحقيق أسماء الصحابة الذين ذكرهم من سبقه من العلماء فى كتبهم ، ومن حقق ابن حجر أسماءهم ولم يعتبرهم من الصحابة ، رجل يدعى (فنج) ، فقال عنه :

(فنج) بفتح أوله وتشديد النون بعد هاجيم ، ابن دحرج ، ويقال مدحج بجيمين ، التميمى : أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، ذكره جعفر المستغفرى وغيره من الصحابة ، وقال

أبو عمر لا تصح له صحبة وحديثه مرسل وروايته عن رجل من الصحابة ، وروى أحمد عبد الرزاق عن داود بن قيس عن عبد الله بن وهب بن منبه عن أبيه : حدثنى فنج قال : كنت أعمل فى الدينار وأعالج فيه ، فقدم يعلى بن أمية أميرا على اليمن ومعه رجال فجاءنى رجل ممن قدم معه وأنا فى الزرع أصرف الماء فيه وفى كفه جوز ، فجلس على ساقه ، وهو يكسر من ذلك الجوز ويأكل ، ثم أشار الى فأتيته ، فقال : يا فارسى هلم ، فدنوت اليه ، فقال لى : أتأذن لى أن أغرس من هذا الجوز على هذا الماء . فقلت : ما ينفعك ذلك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له فى كل شئ يصاب من ثمرها صدقة عند الله » . ويعلى ولى اليمن فى عهد عمر ، وقد ذكره فى الصحابة أيضا على بن سعيد العسكرى ، وكذا يحيى بن يونس الشيرازى فى كتابه المصاييح فى الصحابة ، ونبه جعفر المستغفرى على أنه صحفه ، فقال فتح بسكون المثناة الفوقانية بعدها حاء مهملة ، وانما هو بتشديد النون بعدها جيم وعداده فى التابعين ، وقال أبو عمر ذكره قوم ممن ألف فى الصحابة بالمثناة والمهملة وذكره عبد الغنى بن سعيد بالنون والجيم . قلت : وهو الذى توارده عليه أصحاب المؤتلف .

١٦ - وترجم ابن حجر لرجل كان مجوسيا ، ثم قصد الرسول وأعلن اعتناقه الاسلام ، وسماه الرسول باسمه الكريم ، فأصبح هذا الرجل مولى للرسول . فقال ابن حجر :

(محمد) مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذكره الحاكم فى تاريخ نيسابور

فيمن قدم خراسان ، قال : أخبرني على بن أحمد المروزي ، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر ، وأخبرني أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن مقاتل بن محمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم ، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حدثني أبي عن أبيه مقاتل بن محمد ، أن أباه محمدا كان اسمه ماناهيه ، وأنه كان مجوسيا تاجرا ، فسمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخروجه ، فخرج بتجارة معه من مرو حتى قدم المدينة فأسلم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا ، فرجع الى منزله بمرو ، وأورده أبو موسى من طريق الحاكم .

١٧ - وترجم ابن حجر ضمن من ترجم لهم ممن رأوا الرسول ، لوحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب في موقعة أحد ، فقال :

(وحشى) بن حرب الحبشى مولى بنى نوفل : قيل كان مولى طعيمة بن عدى ، وقيل مولى أخيه مطعم ، وهو قاتل حمزة ، قتله يوم أحد ، وقصة قتله له ساقها البخارى فى صحيحه مطولة ، وفيها قصة اسلامه ، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغيب وجهه عنه ، وكان قدومه عليه مع وفد أهل الطائف ، وذكر فى آخرها أنه شارك فى قتل مسيلمة . يكنى أبا سلمة ، وقيل أبا حرب ، وشهد وحشى اليرموك ، ثم سكن حمص ومات بها ، روى عنه ابنه حرب ، وعبد الله بن عدى بن الخيار ، وجعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، وعاش وحشى الى خلافة عثمان .

١٨ - خصص ابن حجر فى كتابه جانباً ليرجم فيه للنساء اللاتى يتصفن بالصحة ، وجعل عنوانه (كتاب النساء) ، وقد رتب الترجمة لهن على

حروف المعجم أيضا ، وبلغ عددهن ١٥٢٢ امرأة ، تذكر ترجمة بعضهن ، ونبدأ بترجمته لأروى بنت عبد المطلب .

(أروى) بنت عبد المطلب بن هاشم الهاشمية : عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو عمر كانت تحت عمير بن وهب بن عبد بن قصى ، فولدت له طليبا ، ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى فولدت له أروى . وحكى أبو عمر عن محمد بن اسحق أنه لم يسلم من عمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا صفية وتعبه بقصة أروى ، وذكرها العقيلي فى الصحابة ، وأسند عن الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبيه قال : لما أسلم طليب بن عمير دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب ، فقال لها : قد أسلمت وتبعت محمدا ، فذكر قصة فيها ، وما يمنعك أن تسلمى فقد أسلم أخوك حمزة . فقالت : أنظر ما يصنع أخواى . قال قلت : فانى أسألك بالله الا أتيتك فسلمت عليه وصدقته . قالت : فانى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . ثم كانت بعد تعضد النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بلسانها وتمحض ابنها على نصرته والقيام بأمره ، وقال ابن سعد أسلمت وهاجرت الى المدينة .

١٩ - ترجم ابن حجر لثوية ، التى أرضعت الرسول ، وناقش مسألة اسلامها ، فقال :

(ثوية) : التى أرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهى مولاة أبى لهب . ذكرها ابن منده وقال اختلف فى اسلامها ، وقال أبو نعيم لا أعلم أحدا أثبت اسلامها . وفى باب من أرضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طبقات ابن

سعد ما يدل على أنها لم تسلم ، ولكن لا يدفع قول ابن منده بهذا . وأخرج ابن سعد من طريق برة بنت أبي تجرة أن أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوية بلبن ابن لها يقال له مسروح أياما قبل أن تقدم حليلة ، وأرضعت قبله حمزة ، وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد . وقال ابن سعد أخبرنا الواقدي عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كانت ثوية مرضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلها وهو بمكة ، وكانت خديجة تكرمها وهي على ملك أبي لهب ، وسأته أن يبيعها لها فامتنع . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعنتها أبو لهب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث إليها بصلة وبكسوة ، حتى جاء الخبر أنها ماتت سنة سبع مرجعة من خيبر ، ومات ابنها مسروح قبلها . قلت : ولم أقف في شيء من الطرق على اسلام ابنها مسروح وهو محتمل :

٢٠ - ترجم ابن حجر لامرأة تدعى (حواء) وقد اعتنقت الاسلام ، رغما عن زوجها الشاعر قيس بن حطيم ، وتمسكت باسلامها ، فقال :

(حواء) بنت يزيد بن سنان بن كرز بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصارية : ذكرها أبو عمر فقال : قال مصب الزبيرى : أسلمت وكانت تكتم زوجها قيس بن الحطيم الشاعر باسلامها ، فلما قدم قيس مكة حين خرجوا يطلبون الحلف من قريش ، عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستنظره قيس حتى يقدم المدينة ، فسأله رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أن يجتنب زوجته حواء بنت زيد وأوصاه بها خيرا ، وقال له انها قد أسلمت . فقبل قيس

وصية رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « وفي الايمج » . قال أبو عمر : أنكرت هذه القصة على مصعب ، وقال منكرها ان صاحبها قيس بن شماس ، وأما قيس بن الحطيم فقتل قبل الهجرة ، والقول عندنا قول مصعب ، وقيس بن شماس أسن من قيس بن الحطيم ولم يدرك الاسلام ، انما أدركه ولده ثابت بن قيس .

وقد وافق مصعبا العدوى ، فقال : حواء بنت يزيد بن سنان بن كرز بن عبد الأشهل ، زوج قيس بن الحطيم ، ولدت له ابنه ثابت بن قيس . وقال محمد بن سلام الجمحي صاحب طبقات الشعراء : أسلمت امرأة قيس بن الحطيم ، وكان يقال لها حواء ، وكان يصدها عن الاسلام ويبعث بها ويأتيها وهي ساجدة فيقبلها على رأسها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة قبل الهجرة يخبر عن أمر الأنصار فأخبر باسلامها وبما تلتقت من قيس ، فلما كان الموسم أتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ان امرأتك قد أسلمت وانك تؤذيها فأحب أنك لا تتعرض لها .

٢١ - ترجم ابن حجر لاحدى نساء الأنصار وتدعى (الشموس) ، وتحدث في ترجمته لها عن بناء الرسول لمسجده بالمدينة ، فقال :

(الشموس) بنت النعمان بن عامر بن مجمع الأنصارية : مدنية ، روى عنها عبيد بن وديعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بنى مسجده يؤم الكعبة له ويقيم له قبلة المسجد ، ذكرها أبو عمر مختصرة ، ووصلها ابن أبي عاصم الحديث المذكور من طريق يعقوب بن محمد الزهرى عن عاصم بن سويد عن عتبة ، وأخرجه

الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن محمد بن الحسن المخزومى عن عاصم مطولا وكذلك أخرجه الحسن بن سفيان وابن منده من طريق سلمه عن عاصم بن سويد لكن خالف فى شيخ عاصم ، فقال عن أبيه عن الشموس بنت النعمان ، قالت : كأنى أنظر الى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، حين قدم وأسس هذا المسجد ، مسجد قباء ، فرأيتة يأخذ الصخرة أو الحجر ، حتى يهرسه الحجر ، وأنا أنظر الى بياض التراب على بطنه فيأتى الرجل ، فيقول : يا رسول الله أعطني أكفك فيقول : « لآخذ حجرا مثله » ، حتى أسسه ، ويقول « ان جبريل يؤم الكعبة » فكان يقال انه أقوم مسجد قبله . وفى رواية محمد بن الحسن بالسند المذكور الى عتبة ، أن الشموس بنت النعمان أخبرته ، وكانت من المبايعات ، فذكره ، وفيه فيأتى الرجل من قريش أو الأنصار ، وفيه فيقولون انه تراءى له جبريل حتى أم له القبلة . قال عتبة فنحن نقول ليس قبله أعدل منها . وقد استشكل ابن الأثير قوله فى رواية عبيد يؤم الكعبة بأن القبلة حينئذ كانت الى بيت المقدس ، ثم حولت الى الكعبة بعد ذلك ، وخطر لى فى جوابه أنه أطلق الكعبة وأراد القبلة أو الكعبة على الحقيقة ، واذا بين له جهتها كان اذا استدبرها

استقبل بيت المقدس ، وتكون النكته فيه أنه سيحول الى الكعبة فلا يحتاج الى تقويم آخر ، فلما وقع لى سياق محمد بن الحسن رجح الاحتمال الأول .

٢٢ - وكما ترجم بن حجر للنساء من الانس ، فقد ترجم لبعض نساء الجن ، وهذه هى احدى ترجماته :

(فارعة) الجنية : ذكرها حمزة بن يوسف الجرجاني فى تاريخ ، قال أخبرنا أبو أحمد بن عدى حدثنا عبد المؤمن بن أحمد ، حدثنا جعفر ابن الحكم ، حدثنا لهيعة بن عبد الله بن لهيعة عن أبيه ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن امرأة من الجن كانت تأتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى نساء من قومها ، فأبطأت عليه مرة ، ثم جاءت فقال « ما أبطأك ؟ » قالت : موت ميت لنا بأرض الهند ، فذهبت فى تعزيتته ، فرأيت إبليس فى طريقى قائما يصلى على صخرة ، فقلت : ما حملك على أن أضلت آدم ؟ قال : دعى عنك هذا . قلت : تصلى وأنت أنت ! قال : نعم يا فارعة بنت العبد الصالح انى لأرجو من ربى اذا أبر قسمه أن يغفر لى . وفى سنده من لا يعرف ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات .

دكتور على حسن، الخربوطلى

أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد

بجامعة عين شمس